



أعني بالفرق هنا: الفرق الإسلامية أو الفرق المنتسبة إلى الإسلام في الظاهر وليس منه في الحقيقة. والمراجع لمصادر الملل والنحل يجد أسماء عد كثير من الفرق قد انذر وجودها، وأصبحت أثراً بعد عين، ويجد منها ما بقي واستمر، ومنها ما تغير وتطور. ويمكن تقسيم الفرق من حيث يقارئها وانقراضها عقيدة وأسماً إلى ما يلي:

أولاً: فرق انقرضت أسماؤها وبقيت عقيدة:

كالسبئية، فإنها وإن انقرض اسمها إلا إن الإثنى عشرية الرافضة ورثت عقائدها الغالية، وكالمعزلة فإنها وإن اختفى اسمها إلا إن عقائدها لا تزال باقية في بعض الفرق، فقد ورثت الزيدية والإثنى عشرية والإباضية كثيراً من عقائد المعزلة، وكذلك المرجئة والجهمية والقدرية، فهذه الفرق وإن اختفت أسماؤها إلا أنه نشأت فرق أخرى ورثت عقائدها، وتبنت آراءها.

ثانياً: فرق انقرضت عقيدة وأسماؤها:

مثل الكيسانية أتباع محمد بن الحنفية فقد ذكر ابن خلدون أن شيعة محمد بن الحنفية كانت أكثر شيعة أهل البيت - أي: في عصرها - ثم لم تلبث أن تقلص أتباعها حتى اختفت^[1]، وكذلك الفطحية أتباع عبد الله بن جعفر بن محمد الصادق، وهو أكبر أولاد الصادق^[2]، قال صاحب الرينة (أبو حاتم الرازي الإمامي المتوفى سنة 322هـ): «قد انقرضت هذه الفرقة فليس أحد يقول بهذا القول»^[3]. وكذلك الكاملية الذين كفروا عليه - لأنه ترك منازعة الصحابة ومنعهم من مبادعة أبي بكر، وكفروا سائر الصحابة؛ لأنهم لم يسلموا الإمامة لعلي^[4]، ومثلها الغرابية التي قالت: إن محمداً صلى الله عليه وسلم كان أشبه بعلي من الغراب، وأن الله عز وجل بعث جبريل - عليه السلام - بالوحى إلى علي فغلط جبريل وأنزل الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم^{[5][6]}، وكذلك الشامية أتباع هشام بن الحكم الفائلين بالتجسيم، وكغلاة القدرية نفاة العلم، فقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنهم انقرضوا ولم يعد لهم وجود، ولا يعرف أحد ينسب إليها من المتأخرین^[7].

ثالثاً: فرق انقرضت عقيدة وبقيت أسماؤها:

كالشيعة الأولى المفضلة الذين يفضلون علياً على عثمان، مع تقديمهم للشيوخين أبي بكر وعمر، فقد اختفى الاسم المعبر عن هذه الطائفة، وأصبح لقب الشيعة إذا أطلق ينصرف إلى غلاة الرافضة، ذلك أن الشيعة الأولى لما رأوا الغلاة قد انتحلوا هذا اللقب تركوه واكتفوا باسم السنة والجماعة، كما يشير صاحب التحفة الإثنى عشرية إلى ذلك فيقول: «إن الشيعة الأولى

تركوا اسم الشيعة لما صار لقباً للروافض والإسماعيلية، ولقبوا أنفسهم بأهل السنة والجماعة»[8]. وأما عقידتهم فقد اختلفت وانقرضت بعد أن استقر مذهب أهل السنة والجماعة على تقديم عثمان على علي - رضي الله عنهم -، «وقد روي عن أبي حنيفة تقديم علي على عثمان، ولكن ظاهر مذهبه تقديم عثمان، وعلى هذا عامة أهل السنة»[9].

رابعاً: فرق بقيت أسماءً وعقيدة: وذلك مثل الخوارج، والإثنى عشرية، والإسماعيلية، والزيدية.

كثرة فرق الشيعة:

المراجع أيضاً لكتب الفرق والمقالات يجد كماً هائلاً من أسماء الفرق المنتسبة للتشيع التي لم يعد لأسمائها وجود اليوم، حتى تفردت الشيعة بكثرة فرقها بحيث لا يشابهها ولا يقاربها فرقة أخرى، حتى صار هذا الافتراق محل الشكوى من الشيعة أنفسهم[10]، فقد بلغت فرق الشيعة في عصر المسعودي المتوفى سنة 346هـ ثلاثاً وسبعين فرقة[11]، فكيف الحال بعده؟ وكل فرقة تکفر الأخرى، ولهذا زعم الرافضي مير باقر الداماد المتوفى سنة 1040هـ أن الفرق المذكورة في حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة هي فرق الشيعة، وأن الناجية منها هي طائفته الإمامية[12]، وأما أهل السنة والمعتزلة وغيرهم من سائر الفرق فجعلهم من أمة الدعوة، أي ليسوا من أمة الإجابة، فهم في اعتقاده لم يدخلوا في الإسلام، وهذه المقالة قد قالها الشيعة من قبل، وأشار إلى ذلك الشهريستاني حيث قال: «إن الإمامية لم يثبتوا في تعين الأئمة بعد الحسن، والحسين، وعلي بن الحسين - رضي الله عنهم - على رأي واحد، بل اختلافاتهم أكثر من اختلافات الفرق كلها، حتى قال بعضهم: إن نيفاً وسبعين فرقة من الفرق المذكورة في الخبر هو في الشيعة خاصة، ومن عادهم فهم خارجون عن الأمة»[13]، وقال الرازبي: «بعض الروافض قد صنف كتاباً ذكر فيه ثلاثة وسبعين فرقة من الإمامية»[14].

وقد ورد في دائرة المعارف أنه ظهر من فروع الفرق الشيعية ما يزيد كثيراً عن الفرق الالتحتين والسبعين المشهورة[15]، وفي عصر المقربي (المتوفى 845هـ) بلغت فرق الشيعة - كما يذكر - ثلاثة وثلاثين فرقة[16].

الصلة بين فرق الشيعة:

وبعد انتشار مصادر الشيعة تبيّنت حقيقة غائية وخفية لم تكن معلومة من قبل، وهي أن هذه الفرق وإن اختلفت أسماؤها فقد بقيت عقائدها في مصادر التلقي لدى الإثنى عشرية.

وهذه المصادر - ومن خلال القراءة الطويلة فيها - قد استوعبت آراء فرق الشيعة خلال القرون، ومن يقارن بين ما جاء في كتب الإثنى عشرية من معتقدات وبين آراء ومعتقدات فرق الشيعة الأخرى في كتب الفرق وغيرها سيرى أنه ما من رأي أو عقيدة نادت بها طائفة من الفرق الشيعية في حقب التاريخ المختلفة إلا ونجد لها - في الغالب - شاهداً ودليلًا في كتب الإثنى عشرية، بل ربما يصل القارئ إلى نتيجة مثيرة، وهي أن ذلك التقسيم الكبير للشيعة وذكر طوائفها المتعددة قد أصبح اليوم في الغالب صورة لا حقيقة لها، وهي لا تعني اتفاقهم فيما بينهم، ولكن لأن طائفة الإثنى عشرية قد استوعبت تلك الآراء والعقائد، كما حاولت أن تحتوي فرق الغلو لتجنيدها سياسياً وعسكرياً في صفوفها من أجل تحقيق أهدافها. وهذه حقيقة لم تكن واضحة قديماً كما هي اليوم، خاصة بعد انتشار كتب الإثنى عشرية، وقيام دولتهم الخمينية، والتقارب السياسي مع غلة الغلة من الزنادقة النصيرية وغيرهم. وإن دراسة مقارنة لآراء تلك الفرق، وما جاء في كتب الإثنى عشرية لهي دراسة تكشف حقائق مهمة، وربما تستحق أن تفرد بدراسة مستقلة، لكن يكفي ذكر أمثلة لها لنرى على أي شيء استقر مركب الإثنى عشرية:

الصلة بين الباطنية والإثنى عشرية:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «و كذلك - أي في الحكم بالتكفير - من زعم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت...» ثم بين أن هذا مذهب القرامطة والباطنية[17]. هذا الكفر البوح الذي نسبه ابن تيمية للباطنية القرامطة نجده ثابتاً، بل مستفيضاً في

دواوين الشيعة الإثنى عشرية ومصادرهم المعتمدة ويجاهر به جملة من شيوخهم، بل انفرد الشيعة الإثنى عشرية من بينسائر الفرق بالمجاهرة بغيرية تحريف القرآن. فقد امتلأت مصادر الإثنى عشرية بأساطيرهم التي يسمونها أحاديث[18]، والتي تقول بنقص القرآن وتحريفه، حتى زعم بعض شيوخهم كالمفید في «أوائل المقالات»، والمجلسي في «مرآة العقول»، والمازندراني في «شرحه للكافي» وغيرهم أن الأحاديث التي تقول بنقص القرآن وتحريفه متواترة من طرفةهم. وشهد شاهد منهم[19] بأنها بلغت أكثر من ألفي حديث، وأقر علماء الشيعة بأنه مذهب لكبار علمائهم كالكليني، وشيخه القمي، والطبرسي صاحب «الاحتجاج»، والمجلسي صاحب «البحار» وغيرهم.

إن كتب الإثنى عشرية التي تضمنت القول بنقص القرآن وتحريفه، كان منها ما هو قبل ابن تيمية بقرون مثل «الكافي» للكليني (ت 329هـ) وتفسير إبراهيم القمي شيخ الكليني وغيرهما؛ فهل ابن تيمية وغيره من علماء الفرق والمقالات لم يقفوا على هذه المصادر لأنها كانت سرية التداول بين الشيعة؟ أم أن تلك الآراء الشاذة أضيفت إليها فيما بعد؟ أم أن علماء السنة لم يهتموا بالاطلاع على كتبهم؛ على أية حال إن ما ينسبه ابن تيمية للقramطة الباطنية متواتر في كتب الإثنى عشرية. أفل يحق لنا القول بعد ذلك بأن مقالة القرامطة الباطنية قد ردتها وانتصرت لها كتب الإثنى عشرية؟ أم هم الباطنية نفسها؟ لأننا لا نجد هذه المقالة مستفيضة عند الإسماعيلية كما هي عند الإثنى عشرية، فشيعة اليوم هم باطنية في حقيقة الأمر، ويصدق عليهم قول الشهريستاني: «لهم دعوة في كل زمان، ومقالة جديدة بكل لسان»[20]، ويفيد ذلك ما جاء في مصادرهم من أن هذا الاختلاف بينهم أمر مقصود للتستر على عقيدتهم وإخفاء حقيقتهم، وهذا حق اعترف به الشيعة أنفسهم، حيث جاء في «أصول الكافي»: عن زرارة بن أعين عن أبي جعفر قال: سأله عن مسألة فأجابني، ثم جاءه رجل فسأله عنها، فأجابه بخلاف ما أجابني، ثم جاءه رجل آخر فأجابه بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي، فلما خرج الرجالان قلت: يا ابن رسول الله، رجالان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبت به صاحبه؛ فقال: «يا زرارة، إن هذا خير لنا ولكم، ولو اجتمعتم على أمر واحد لصدقكم الناس علينا، ولكن أقلّ ليقائنا وبقائكم»[21]. قال المازندراني: «أي: ولكن اتفاقيكم في الرواية عنا أو تصديقهم لكم فيها سبباً لقلة بقائنا وبقائكم؛ لأنه موجب لسرعة هلاكتنا وهلاكم، بخلاف ما إذا اختلفتم في الرواية عنا، فإنهم لا يصدقونكم علينا ولا يعتقدون أنكم مواليتنا، وفي ذلك بقاء لنا ولكم»[22]؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله: «الشيعة ليس لهم قول واحد يتفقون عليه»[23].

إحياء عقائد السبئية:

ظهرت النزعة السبئية التي تصنفي صفات الإله على الأئمة واضحة جلية من خلال أحاديث الإثنى عشرية، فالآئمة يعلمون ما كان وما يكون ولا يخفى عليهم شيء، ولا ينسون ولا يخطئون مطلقاً، إلى آخر قائمة الأوصاف التي يجعلونها للأئمة التي هي من خصائص الجبار جل علاه[24]، حتى عقدوا أبواباً في مصادر التلقي المعتمدة لديهم لتأسيس هذا الغلو وضممنوها طائفة من أساطيرهم التي نسبوها كذباً وزوراً إلى بعض آئمة آل البيت لتروج عند أتباعهم.

يقول أحد المعاصرين[25] من آياتهم التي ينسبونها زوراً إلى الله سبحانه، مشطراً أبيات سيده حسين القزويني في مدح علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -:

أبا حسن أنت عين الإله

وعنوان قدرته السامية

وأنت المحيط بعلم الغيوب

فهل عندك تعزب من خافية؟

وأنت مدبر رحي الكائنات

وعلة إيجادها الباقيه

لك الأمر إن شئت تنجي غداً

وإن شئت تسفع بالناصية[26]

إحياء عقيدة البداء:

عقيدة البداء من عقائد الغلاة[27] ونسبوها للمختارية[28] وهم من الغلاة، فالبداء في اللغة له معنيان: الأول: الظهور والانكشاف، والثاني: نشأة الرأي الجديد، وكل المعندين ورد في القرآن، فمن الأول قوله تعالى: {وَإِنْ تُبَدِّلُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ} [البقرة: 284]، ومن الثاني قوله: {ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لِيَسْجُنَنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ} [يوسف: 35]. والبداء بهذين المعندين لا تجوز نسبته إلى الله عز وجل، والبداء في الأصل عقيدة يهودية ضالة، وقد وردت في التوراة - التي حرفاها اليهود وفق ما شاءت أهواهم - نصوص صريحة تتضمن نسبة معنى البداء إلى الله سبحانه[29].

ومع ذلك فقد ورد في صحيحهم «الكافي» ستة عشر حديثاً في كتاب البداء، وفي «البحار» في باب سماه البداء والنحو أكثر من سبعين حديثاً من أحاديثهم[30]، وصار البداء من عقائد الإثنى عشرية الثابتة في مصادرهم وروياتهم، وقالوا: «ما عبد الله بشيء مثل البداء»[31]، «وما بعث الله نبياً قط إلا بتحريم الخمر وأن يقر لله بالبداء»[32]، « ولو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه»[33].

إحياء عقيدة الرجعة:

عقيدة الرجعة[34] عدوها من عقائد الغلاة[35]، حتى ذكر ابن حجر أنها آخر مرتبة في الغلو[36]، وقد ذكرت كتب الشيعة[37] والسنّة[38] أنها من أصول عقائد ابن سينا اليهودي، ومع ذلك فهي من أصول عقائد الإمامية، فمن روياتهم: «ليس منا من لم يؤمن بكرتنا»[39]، وقال ابن بابويه في الاعتقادات: «اعتقدنا في الرجعة أنها حق»[40]، وقال المفيد: «اتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات»[41]، وقال الطبرسي والحر العاملي وغيرهما من شيوخ الرافضة إنها «موضع إجماع الشيعة الإمامية»[42]، وإنها من ضروريات مذهبهم[43].

تفضيل الأئمة على الأنبياء:

قرر أهل العلم أن القول بتفضيل الأئمة على الأنبياء هو مذهب غلاة الروافض، كما أثبت ذلك الإمام عبد القاهر البغدادي[44] (ت 429هـ) والقاضي عياض (ت 544هـ)، ورأى أن هذا من أسباب كفرهم فقال: «ونقطع بتکفير غلاة الرافضة في قولهم: إن الأئمة أفضل من الأنبياء»[45]، وشيخ الإسلام ابن تيمية[46] (ت 728هـ)، ونقل بعض أهل العلم «إجماع المسلمين على كفر من ذهب إلى هذا القول»[47].

ومع ذلك فهي من عقائد الإثنى عشرية الأساسية، وفي كتب حديثهم عقدوا لها باباً خاصاً، كما ألف شيوخهم في إثباتها مؤلفات مستقلة[48]؛ فهم بهذا من غلاة الروافض.

التشيع الإثنى عشرى مجمع عقائد الفرق الفالية:

وبهذا يتبيّن جمع الإثنى عشرية في مصادرها لعقائد الغلاة من أهل الفرق البائدة، وقد رأيت بعض الشيعة المعاصرین أشار إلى هذا الرأى، فقال: «يجب أن نشير قبل أن نضع القلم بأن ما من بنا من أفكار الشيعة مما كان خاصاً بفرقة بعينها لم يلبث

أن دخل كله في التشيع الإثني عشرى ودعم بالحج العقلية وبالنصوص، والتشيع الحالى إنما هو زيدة الحركات الشيعية كلها من عمارات[49] إلى حجر بن عدى إلى المختار وكيسان إلى محمد بن الحنفية وأبي هاشم إلى بيان بن سمعان، والغلاة الكوفيين إلى الغلاة من أنصار عبد الله بن الحارث إلى الزيديين والإسماعيليين، ثم الإمامية التي صارت إثنى عشرية، وقام بعملية المزج متكلمو الشيعة ومصنفوها»[50].

إذن كتب الإثنى عشرية الأساسية هي الدّين الذي امتنجت فيه كل الانحرافات الشيعية، واستقر بناء التشيع الإثنى عشرى على الأصول العامة للتشيع مهما كان غلوها وتطرفها.

من هنا رأى البعض أن «أصول مذهب الغلاة والمفوضة والباطنية من الإسماعيلية والإمامية الإثنى عشرية مختلطة بعضها بعض في كثير من المسائل، ولذلك قيل: الإمامية دهليز الباطنية»[51].

وقد جاء في دائرة المعارف عن انفتاح الإثنى عشرية على الغلاة هذا القول: «على أن الحدود لم تقبل تماماً أمام الغلاة، يدل على ذلك التقدير الذي دام طويلاً لكتاب الأكبر للإسماعيلية وهو كتاب (دعائم الإسلام)»[52].

ومثل الإسماعيلية فرق أخرى بقيت أو اندرست كلها دخلت معتقداتها في مدونات الإثنى عشرية[53].

وقد اعترف شيخهم الطوسي الملقب عندهم بشيخ الطائفة أن معظم رجالهم في الحديث من أصحاب المذاهب الفاسدة، ومع ذلك قال: «إن كتبهم معتمدة»[54].

ومن هنا فإن بعض شيوخ الإثنى عشرية وأياتها إذا تحدثوا عن طائفتهم ورجالها ودولها نسبوا لها كل الفرق والدول والرجال المنتسبين للتشيع، وإن كانوا من الإسماعيلية والباطنية أو من الزنادقة الدهرية أو من المجسمة الغلاة.فهم إذا تحدثوا - مثلاً - عن دول الشيعة ذكروا الدولة العبيدية في صدر دولهم مع أنها ليست إثنى عشرية[55]، وإذا جاء ذكر رجالهم رأيت منهم كثيراً من رؤوس الضلال والزنادقة من تنسب إليهم فرق ليست من الإثنى عشرية؛ لهذا نرى - مثلاً - مرجع الشيعة المعاصر محسن الأمين يقول عن الهشامية[56] أتباع هشام بن الحكم، واليونسية أتباع يونس بن عبد الرحمن القمي[57]، والشيطانية أتباع محمد بن النعمان (شيطان الطاق)[58] وغيرها «أنهم عند الشيعة الإمامية كلهم ثقات صحيحو العقيدة، فكلهم إمامية وإثنى عشرية»[59].

ومن منطلق استيعاب الإثنى عشرية لآراء الفرق الأخرى نرى بعض الشيعة الإثنى عشرية المعاصرین يضفي التشيع على بعض الغلاة الكفرة كالنصرية، فقد كتب أحد علماء الشيعة الإثنى عشرية المعاصرین وهو المدعو حسن الشيرازي رسالة سماها: «العلويون شيعة أهل البيت» (العلويون لقب للنصرية) وذكر في رسالته هذه أنه التقى بالنصيريين في سوريا ولبنان وذلك بأمر من مرجعهم الديني محمد الشيرازي (أخو حسن)، وقال إنه وجدهم كما يظن من شيعة أهل البيت الذين يتمتعون بصفاء الإخلاص وبراءة الالتزام بالحق وينتمون إلى علي بن أبي طالب بالولاية وبعضهم ينتمي إليه بالولاية والنسب.. وقال: إن العلويين والشيعة كلمتان متراوحتان مثل كلمتي الإمامية والجعفرية[60]، هذا ولم ينكر على هذا الشيرازي أحد من علماء الإثنى عشرية مع أنه قد عرف واشتهر عن النصرية الكفر والزنادقة[61]، بل كتب الشيعة القديمة نفسها تحكم عليهم بالكفر[62]، حتى بلغ الأمر اليوم أنهم يساندون النصرية بالمال والسلاح والرجال لإبادة أهل السنة في الشام.

هذا التطور العقدي عند الإثنى عشرية باتجاه الغلو يؤكده أحد مراجع الشيعة المعاصرین وهو عبد الله الممقاني[63] - الذي يعدونه من كبار علمائهم المعاصرین في علم الرجال - يقول في معرض دفاعه عن المفضل بن عمرو الجعفي فيما رمي به

من الغلو من قبل بعض الرافضة القدماء: «إنا قد بینا غير مرة أن رمي القدماء الرجل بالغلو لا يعتمد عليه ولا يُرکن إليه، لوضوح كون القول بأدئى مراتب فضائلهم - يعني الأئمة - غلواً عند القدماء، وكون ما نعده اليوم من ضروريات مذهب التشيع غلواً عند هؤلاء، وكفاك في ذلك عد الصدوق نفي السهو عنهم غلواً مع أنه اليوم من ضروريات المذهب، وكذلك إثبات قدرتهم على العلم بما يأتي - أي علم الغيب - بتوسط جبرائيل والنبي غلواً عندهم وهو من ضروريات المذهب اليوم»[64]. فهذا الممقاني يعترف بالتتطور العقدي عندهم، ويحكم بأن ما كان يعد غلواً في عرف الشيعة المتقدمين، مثل أن الأئمة يعلمون الغيب ولا يسهون، هو اليوم من ضروريات مذهب التشيع.

ومن خلال هذا التوجه العام فإن شيخ الشيعة المعاصر محمد حسين آل كاشف الغطا يحكم على جميع فرق الشيعة الموجودة اليوم بعدم الغلو، ويزعم أن جميع الفرق الغالية قد بادت ولا يوجد منها اليوم نافذ ضرمة[65]، وقال الدكتور سليمان دنيا - معلقاً على قول آل كاشف الغطا هذا - قال: «فما يكون الأغاخانية؟ أليسوا قائلين بالحلول؟! أليسوا مع قولهم بالحلول ملحدة؟! أليسوا منتبسين إلى الشيعة؟ وأخيراً أليسوا على رقعة الأرض اليوم؟»[66]. ول الواقع أن أسماء معظم تلك الفرق قد اختفت وبقيت آراؤها ومعتقداتها في كتب الإثنى عشرية.

وقد تنبه لهذه الحقيقة - وهي تطور معتقدهم نحو الغلو - الشيخ ملا علي القاري، وذلك حينما نقل قول الإمام النووي وهو أن «المذهب الصحيح المختار الذي قاله الأكثرون والمحققون أن الخارج لا يكفرون كسائر أهل البدع»[67]، فقال القاري معيقاً على ذلك: «قلت: وهذا في غير حق الرافضة الخارجة في زماننا، فإنهم يعتقدون كفر أكثر الصحابة فضلاً عن سائر أهل السنة والجماعة، فهم كفرة بالإجماع بلا نزاع»[68].

ولعل هذه الظواهر هي التي دعت محب الدين الخطيب إلى أن يحكم بأن مدلول الدين عند الشيعة يتطور، ثم استدل على ذلك بقول الممقاني السالف الذكر، ثم قال: «هذا تقرير علمي في أكبر كتاب وأحدثه لهم في الجرح والتعديل، يعترفون فيه بأن مذهبهم الآن غير مذهبهم قديماً، مما كان يدعونه قديماً من الغلو وينبذونه وينبذون أهله بسبب ذلك، صار الآن - أي الغلو - من ضروريات المذهب، فمذهبهم اليوم غير مذهبهم قبل الصفوين، ومذهبهم قبل الصفوين غير مذهبهم قبل ابن المطهر، ومذهبهم قبل ابن المطهر غير مذهبهم قبل آل بويه، ومذهبهم قبل آل بويه غير مذهبهم قبل شيطان الطاق، ومذهبهم قبل شيطان الطاق غير مذهبهم في حياة علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين»[69]. واستدل بكلام الممقاني سالف الذكر، ولو كان محب الدين الخطيب حياً لقال: إن مذهبهم بعد ثورة الملالي غير مذهبهم قبلها، ومذهبهم قبل ولادة الفقيه الخمينية غير مذهبهم بعد ولادة الفقيه الخمينية، بل إن المذهب بحكم مصادره ازداد شذوذًا وانحرافاً.

ولا سبيل لخلاصهم من تلك العقائد الكفرية إلا بإعلانهم البراءة من هذه المصادر وأصحابها، أو على حد تعبير العالم الإيراني المهتمي البرقعي: كسر هذه الأصنام التي عبدوها من دون الله، والعودة إلى مصادر التقلي لدى الأمة الإسلامية.

ولعل من أكبر العوامل لاستقرار هذا المذهب على الغلو هو استيعاب مدونات الروافض لآراء تلك الفرق الشاذة، وقبولهم لروايات أصحاب تلك الفرق لأنهم شيعة، فهم مقبولون بغض النظر عن معتقدهم؛ فمع التشيع لا يضر انتقال أي نحلة! ولهذا انبثق من الروافض كثير من الفرق الخارجية عن الإسلام[70].

ونضيف حقيقة مهمة في هذا المجال وهي أنه يوجد للاتجاه الشيعي المعتدل أثر في مدونات الروافض في أحاديث تنتهي على الصحابة وترفض التقية، وتتفق المسلمين في معتقدهم، لكن علماء الروافض رفضوا العمل بها بحجة أنها وردت مورد التقية، في حين أنهم لا يملكون دليلاً يؤكدون به ذلك سوى أنها موافقة للأمة الإسلامية، وهذا دليل عليهم لا لهم.

ولعله بالإمكان استخلاص هذا الأثر الشيعي المعتمد من كتب الشيعة ليكون شمعة ضوء تهدي المخلصين في البحث عن الحق، لكن ذلك الغثاء الذي حوتة كتب الشيعة هو الذي يمثل القسم الأكبر، وقد وضع الشيعة قاعدة تقديم الأكثر على الأقل[71]، فبقي هذا الأكثر يشكل العقبة الكؤود بينهم وبين المسلمين، فعودتهم للأمة مقرونة بعودتهم لمصادر التلقي لدى المسلمين وبراءتهم من هذه المصادر التي جمعت ظلمات الكفر. نسأل الله أن يهديهم إلى الحق وبصرهم به.

[1] تاريخ ابن خلدون: 3/172

[2] وسموا الفطحية؛ لأن عبد الله كان أفتح الرأس، كما يدعون بالعامية نسبة إلى رئيس لهم يعرف بعمار، وقد قال النبيختي إنه مال إلى هذه الفرقة جل مشايخ الشيعة وفقهاها، ولكن عبد الله لم يعش بعد وفاة أبيه سوى سبعين يوماً فرجعوا عن القول بإمامته (انظر: مسائل الإمامة ص46، فرق الشيعة للنبيختي ص77-78، مقالات الإسلاميين 102/1، الحور العين ص163-164).

[3] الزينة: ص287

[4] انظر: مسائل الإمامة: ص45، المقالات والفرق: ص14، مقالات الإسلاميين: 1/89، الفرق بين الفرق: ص54، الملل والنحل: 1/174.

[5] انظر: الفصل: 5/42، الفرق بين الفرق ص250، التبصير في الدين: ص74، المنية والأمل ص30، التبيه والرد ص158، وسماتها «الجمهورية».

[6] ربما جاء في كتب الإثنى عشرية ما يعبر عن مذهبها باللفاظ مختلفة، فقد جاء في طائفة من مصادر الشيعة المعتمدة لديهم أن رسول الله – صلى الله عليه وآله – قال: «إن الله أنزل علي القرآن وهو الذي من خالقه ضل، ومن يتغنى علمه عند غير علي هلك» (وسائل الشيعة: 18/138، وانظر: بحار الأنوار: 19/302). مما الفرق بين مقالة الغربية، ونص الإثنى عشرية؟! إن الإثنى عشرية أعطوا علياً الرسالة بدون الطبري (الرافضي) / بشارة المصطفى ص16، أمالى الصدوق ص40). دعوى الغلط، وزعموا أن رسالة النبي هي التعريف بعليٍّ فقط!

[7] انظر: فتح الباري (1/119).

[8] التحفة الإثنى عشرية: ص25-26 (مخطوط).

[9] شرح الطحاوية: 2/727.

[10] انظر: أصول الكافي: 1/65.

[11] مروج الذهب: 3/221.

[12] جمال الدين الأفغاني، التعليقات على شروح الدواني للعقائد العضدية (ضمن كتاب الأعمال الكاملة للأفغاني، دراسة وتحقيق: محمد عمارة: 1/215)، وقد نسب رشيد رضا هذا الكتاب لمحمد عبده (تفسير المناج: 8/221)، لكن حق محمد عمارة أنه للأفغاني (انظر: محمد عمارة، الأعمال الكاملة للأفغاني: 155-156، الأعمال الكاملة، لمحمد عبده: 1/209).

[13] الملل والنحل: 1/165.

[14] اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ص56.

[15] دائرة المعارف الإسلامية: 14/67.

[16] الخطط: 2/315.

[17] الصارم المسلول: ص586.

[18] هي مجرد أسطورة مكتوبة مقتراة نسبها زنادقة القرون البائدة إلى أئمة آل البيت لتروج على أتباعهم، وسموها أحاديث تلبيساً وتضليلًا.

[19] هو شيخهم نعمة الله الجزائري الذي وصفوه بأنه السيد السندي، والركن المعتمد، المحدث النبيه، المحقق، التحرير، المدقق العزيز النظير، وقالوا بأنه من أكابر متاخرى علماء الإمامية، محدث جليل القدر، ومحقق عظيم الشأن، إلى آخر أوصافهم، توفي سنة 1112هـ (انظر: أمل الآمل: 2/336، الكني والألقاب: 3/298، سفينة البحار: 2/601، مقدمة الأنوار النعمانية).

[20] الملل والنحل: 1/192.

[21] أصول الكافي: 1/65.

[22] شرح أصول الكافي: 2/329.

[23] منهاج السنة: 2/129.

[24] انظر: «شيعة اليوم سبئية الأمس» (منشور بمجلة البيان).

[25] هو عبد الحسين بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ صادق بن الشيخ بحبي العاملي.

[26] ديوان الحسين : الجزء الأول من القسم الثاني الخاص في الأدب العربي، ص48.

[27] انظر: الشهرستاني: الملل والنحل (1/173).

- [28] المختارية: أتباع المختار بن أبي عبيد الثقي، ومن مذهبه أنه يقول بالبداء على الله تعالى. «الممل والنحل»: (147-148).
- [29] ب رغم أن المشهور عن اليهود أنهم ينكرون النسخ لأنهم يستلزم البداء. انظر: «مسائل الإمامة»: ص 75 و «مناهل العرفان»: (2/78). ومع ذلك فقد جاء في التوراة: «ورأى رب أن شر الناس قد كثر على الأرض، وأن كل تصور أفكار قلوبهم إنما هو شر في جميع الأيام. فندم رب أنه عمل لإنسان على الأرض وتأسف في قلبه، فقال رب: أمحو إنسان الذي خلقت عن وجه الأرض، إنسان مع البهائم والديابات وطير السماء لأنني ندمت على خلقي لهم». «الكتاب المقدس» الفصل السادس من تكوين التوراة: ص 12.
- [30] المراد بأحاديثهم ما ينسبونه إلى أمتهم الثانية عشر من أقوال، وقليل منها ينسبونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن نبرئ أهل البيت مما ينسبونه إليهم من افتراءات وأكاذيب.
- [31] «الكافي»، كتاب التوحيد، باب البداء: (1/146).
- [32] المصدر السابق: (1/148).
- [33] المصدر السابق: (1/148).
- [34] هي عندهم: «رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيمة، وعودتهم إلى الحياة بعد الموت، قبل ذلك اليوم الموعود يرجعون في صورهم التي كانوا عليها» انظر: أوائل المقالات: ص 51، 95، الإيقاظ من الهجنة بالبرهان على الرجعة: ص 29.
- [35] «الممل والنحل»: (1/173).
- [36] هدي الساري مقدمة فتح الباري: ص 459.
- [37] سعد القمي: ص 20-21، النوخختي: «فرق الشيعة»: ص 19.
- [38] البغدادي: «الفرق بين الفرق»: ص 233-234.
- [39] من لا يحضره الفقيه: 3/291، وسائل الشيعة 7/438، تفسير الصافي 1/347، بحار الأنوار: 53/92.
- [40] الاعتقادات: ص 90.
- [41] أوائل المقالات: ص 51.
- [42] الطبرسي/ مجمع البيان: 5/252، الحر العاملي/ الإيقاظ من الهجنة: ص 33، الحويزي/ نور التقلين: 4/101، المجلسي/ بحار الأنوار: 123/53 (وقد ذكر المجلسي أنهم أجمعوا على القول بها في جميع الأعصار).
- [43] الإيقاظ من الهجنة: ص 60.
- [44] «أصول الدين»: ص 298.
- [45] «الشفا»: ص 290.
- [46] «منهج السنة»: (1/177) الطبعة الأولى.
- [47] «الرد على الرافضة»: ص 29.
- [48] مثال كتاب: «تفضيل علي على أولي العزم من الرسل» لشيخهم هاشم بن إسماعيل البحرياني (ت 1107هـ)، و«تفضيل الأئمة - عليهم السلام - على الأنبياء عدا نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم » للمؤلف السابق ذكره، و«تفضيل أمير المؤمنين على من عدا خاتم النبيين» لشيخهم محمد النقوي الكهنوبي (ت 1111هـ) و«تفضيل أمير المؤمنين على غير النبي - صلى الله عليه وآله وسلم » لسيدهم محمد النقوي الكهنوبي (ت 1284هـ) وغيرها. انظر: «الذرية إلى تصانيف الشيعة»: (360-364)، «لؤلؤة البحرين»: ص 64. ويقول شيخهم نعمة الله الجزائري (ت 1112هـ): «هذا مذهب أكثر متأخر الإمامية، وهو الصواب». انظر: «الأنوار العمانية»: (21-20)، وهذا المذهب هو الذي اعتمدته شيخ الشيعة المعاصرين الخميني. انظر: «الحكومة الإسلامية»: ص 52.
- [49] هذا بناء على اعتقاده أن عمارة بعض الصحابة كانوا نواة للتشيع، وهو رأي ظاهر الفساد.
- [50] مصطفى الشيباني: «الصلة بين التصوف والتشيع»: ص 235.
- [51] محمد بن الحسن الديلمي (من علماء القرن الثامن الهجري) «قواعد آل محمد»: ص 11.
- [52] دائرة المعارف الإسلامية: (14/72).
- [53] انظر: «شيعة اليوم باطنية الأمس» (منشور بمجلة البيان).
- [54] «ال فهوست»: (ص 24-25).
- [55] انظر: «الشيعة في الميزان» مبحث دول الشيعة: ص 127 وما بعدها، وانظر: «أعيان الشيعة»: (44، 45)، وانظر: «دول الشيعة» لمحمد جواد مغنية.
- [56] هذه الطائفة جمعت بين ضلالها في الإمامة ضلال التشبيه والتجمیم حتى قال الإسفراینی: «أنهم أفسحوا في التشبيه بما هو كفر محض باتفاق المسلمين» «التبصیر» ص 43-44. وانظر: الأشعري: «مقالات الإسلاميين»: (106-107)، عبد القاهر البغدادي: «الفرق بين الفرق»: ج 65.
- [57] كان في الإمامية على مذهب القطعية الذين قطعوا بموت موسى بن جعفر، وكان مفرطاً في باب التشبيه. انظر: الأشعري: «مقالات الإسلاميين»: (106)، البغدادي: «الفرق بين الفرق»: 70.
- [58] الشيعة تسميه مؤمن الطلاق ولها وظائفه ضلال شنيع في الإمامية، والقدر والتشبيه، وكان في الإمامية على مذهب القطعية، أي ليس بإثنى عشرى. البغدادي: «الفرق بين الفرق»: ص 71، الشهري، «الممل والنحل»: (186-187)، الإسفراینی: «التبصیر»: ص 43.
- [59] «أعيان الشيعة»: (1/21).

- [60] حسن الشيرازي: «العلويون شيعة أهل البيت»: ص2-3.
- [61] انظر: ابن تيمية: «الفتاوى»: (35/145) وما بعدها.
- [62] انظر مثلاً: «البحار»: (25/286).
- [63] عبد الله بن محمد الممقاني من كبار شيوخ الشيعة، ولد بالنجف سنة 1290هـ، وتوفي بها سنة 1351هـ، ومن كتبه: «تنقیح المقال في علم الرجال» في ثلاثة مجلدات. «معجم المؤلفين»: (6/116).
- [64] [64] «تنقیح المقال»: ج 3 ص240.
- [65] انظر: «أصل الشيعة وأصولها»: ص38، «دعوة التقریب»: ص75.
- [66] [66] «بين السنة والشیعہ»: ص37.
- [67] انظر: شرح النووی على صحيح مسلم: (2/50).
- [68] [68] «مرقاۃ المفاتیح»: (9/137).
- [69] [69] هامش «المنتقی»: ص193.
- [70] النصیرية والإسماعیلیة والباطنية من باهم دخلوا (المنتقی: ص9)، وكذلك الشیخیة والکشفیة والبهائیة من صمیمهم خرجوا (هامش المنتقی: ص9)، وأصبح التشیع مأوى لكل من أراد الكید للإسلام والمسلمين.
- [71] ذلك باعتبار أن هذا الأقل ورد مورد التقبیة، قال المفید: «ما خرج للتفقیة لا تکثر روایته عنهم كما تکثر روایة المعمول به» شرح عقائد الصدوق: ص267، ملحق (ب) «أوائل المقالات».